

الأسرة الجزائرية في نضال الحركة الوطنية الجزائرية

د. إسعد لهلاي. أستاذ محاضر "أ"، جامعة سطيف 02 (الجزائر)

La famille Algérienne et le militantisme du mouvement national Algérien

Algerian Family in the Struggle of the Algerian National movement

Issaad LAHLALI. MCA, Setif 02 university (Algeria)

lahlali.issaad@gmail.com

تاريخ الإرسال: 20 - 02 - 2019 تاريخ القبول: 30 - 03 - 2019 تاريخ النشر: 28 - 05 - 2019

الملخص:

تتناول هذه الدراسة موضوعا مهما يتعلق بنضال الحركة الوطنية واهتمامها بالأسرة الجزائرية خلال فترة الاحتلال الفرنسي، وركزنا على دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على تماسك الأسرة من خلال تنبيه الشباب وتبيان أهمية الزواج وفق تعاليم ديننا الإسلامي، ومواجهة السياسة الفرنسية التي كانت تهدف إلى تفكيك الأسرة الجزائرية.

الكلمات المفتاحية: الأسرة، الزواج، جمعية العلماء، السياسة الاستعمارية. الشباب، الصحافة.

Résumé :

Cette étude traite un sujet important lié au lutte de l'Association des érudits musulmans algériens et à ses sollicitudes vers la famille algérienne pendant la période de l'occupation française. Nous nous sommes concentrés sur le rôle de l'Association des Erudits Musulmans Algériens dans le maintien de la cohésion de la famille par attirer l'attention des jeunes en montrant l'importance du mariage selon les orientations de notre religion Islamique. Et pour affronter la politique Française visant à démanteler la famille Algérienne.

Mots clés : Famille, Mariage, Association de savants, Politique coloniale. Les jeunes, La presse

Summary:

The regards of the Algerian national movement was concerned with the struggle against French colonialism and its politic also the national elite was overwhelmed by the seriousness of the colonial project that legitimized Algerian society And undermine its construction through the Algerian family, by breaking its cohesion and exploiting its members to achieve its projects. Hence, French decision makers focused on educating Algerian women and taking them outside housebound under the pretext of modernity and encourage them misfortune since they are the basic of the Algerian family and the responsible to raise children. Moreover, despite the ideological differences between the Algerian national movements, it stood close to the family issues in terms of maintaining its privacy and denounces the idea of a woman's misfortune and tries to define the frameworks of modernity for the daily life of the family

Here we will highlight the issue of marriage at the Association of Algerian Muslim Scholars which had a great interest in the family through its journalism, where scholars defended the Algerian family against the colonial policy that tried to obliterate its religion and language..

Therefore, the struggle of the national movement in its political side came in line with social and cultural aspects, where it focused in their speeches on the interest of the family formed in modern

projects as a solution of Liberalists or like a reformatory-defensive for Assembly of Scholars and Independents by using various means such as journalism schools and vocational education..... and was able to stand up against colonial projects, although several developers who were influenced by the colonialist proposals calling Algerian family to assume the Western model. Yet, the Algerian family has maintained its social norms and cultural dimensions as a manifestation of social and cultural steadfastness against French colonial policy.

The role of the Association of Algerian Muslim Scholars comes effectively in this regard, given its contributions to preserving the social structure and not allowing the achievement of the French policy that sought to eliminate the Algerian family illustrated by the writings of scholars in the press of the Association or in their preaching to Algerians in mosques and clubs, and to aware the seriousness of the colonial project and the need to adhere to the teachings of the Islamic religion, which is considered the bastion of the family. In addition encouraging youth to marry by facilitating theirs conditions moreover stay away from all that makes them follow desires therefore falling in sin especially the colonial administration was premeditating youth and attended to any factors of deviation.

The association of Scholars has undertaken the task of defending the family and has treated issues related to marriage which are the matter of youth and marriage and the role of the latter in the formation of the family, which is the basic cell of the arrangement of the society. As well as the statement of rights and duties that should be the husband and wife to a sustainable wedded relationship in between. , In addition to the issue of dowry and divorce and the statements of the newspapers as among problems of marriage, . Finally to talk about mixed marriages and polygamy, consequently confronting French policy.

This study deals with an important subject related to the struggle of the Algerian Muslim Scholars Association and its solicitations towards the Algerian family during the period of the French occupation. We focused on the role of the Association of Algerian Muslim Scholars in maintaining the cohesion of the family by landing the attention of young people by showing the importance of marriage according to the guidelines of our Islamic religion. And to confront the French policy to dismantle the Algerian family.

Key-words : Family, Marriage, Association of Scholars, Colonial Politics. Youth, Press

مقدمة

اهتمت أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية بالنضال ضد الاستعمار الفرنسي ، وسياسته وتفتنت النخبة الوطنية إلى خطورة المشروع الاستعماري القاضي بقبولية المجتمع الجزائري ، وتقويض بنائه عن طريق الأسرة الجزائرية ، باختراق تماسكها واستغلال أفرادها في تحقيق مشاريعها وعليه ركز صانعو القرار في فرنسا على تعليم المرأة الجزائرية وإخراجها للشارع باسم الحداثة، وتشجيعها على السفور لأنها أساس مسخ الأسرة الجزائرية باعتبارها المسؤولة في الأسرة على تربية الأبناء. ومن جهة أخرى ورغم الاختلافات الأيديولوجية بين اتجاهات الحركة الوطنية الجزائرية ، إلا أنها وقفت مواقف متقاربة تجاه قضية الأسرة من زاوية الحفاظ على خصوصيتها ، واستنكار فكرة سفور المرأة ومحاولة تحديد أطر الحداثة بالنسبة للحياة اليومية للأسرة.

وهنا سنتناول قضية الزواج عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، التي اهتمت بشكل كبير بالأسرة من خلال صحافتها ، حيث دافع العلماء عن الاسرة الجزائرية ضد السياسة الاستعمارية التي حاولت طمس دينها ولغتها.

وعليه جاء نضال الحركة الوطنية في جانبه السياسي متلازما والجانب الاجتماعي، والثقافي حيث ركزت في خطاباتها على الاهتمام بموضوع الأسرة على شكل مشاريع حدائية كحال اللبيرايليين أو إصلاحية دفاعية كحال جمعية العلماء ، والاستقلاليين باستخدام وسائل متنوعة كالمدارس الصحافة والتعليم المهني... واستطاعت الوقوف ضد المشاريع الاستعمارية رغم تأثر بعض المطورين بالأنطروحات الاستعمارية الداعية لتقمص الأسرة الجزائرية للنموذج الغربي ، إلا أن الأسرة الجزائرية حافظت على أعرافها الاجتماعية وأبعادها الحضارية كمظهر من مظاهر الصمود الاجتماعي ، والثقافي ضد السياسة الاستعمارية الفرنسية. فكيف اهتمت جمعية العلماء بقضايا الزواج في الأسرة الجزائرية ؟ وماهي الوسائل التي استعملتها لبلوغ أهدافها ؟

قضايا الزواج في صحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

لقد ركزت جمعية العلماء على قضايا أسرية مهمة جدا وهي قضايا مرتبطة بموضوع الزواج ، حيث عالجت قضية الشباب والزواج ؛ ودور هذا الأخير في تكوين الأسرة التي هي الخلية الأساسية لتكوين المجتمع ، وكذا بيان الحقوق والواجبات التي ينبغي أن يكون عليها كل من الزوج والزوجة لاستمرار الرابطة الزوجية بينهما ، أما العنصر الثاني فتطرق فيه إلى قضية الصداق والطلاق وأقوال الصحف فيهما باعتبارهما من مشكلات الزواج ، في حين خصصت العنصر الثالث للحديث عن قضيتين اثنتين وهما الزواج المختلط وتعدد الزوجات.

أولا: قضية الشباب والزواج.

يعتبر النكاح سنة شرعية قديمة موروثة عن الأنبياء والمرسلين فالحكمة فيه المحافظة على التناسل واستمرار العمران البشري لقصد إظهار وجوده تعالى وعبادته.¹ قال الله تعالى: "والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات أقبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون".² فهو لم يشرع لمجرد إرضاء الغريزة بل ما شرع إلا لبناء الأسرة وحماية الأخلاق الفاضلة من التلاشي وحفظ كيان الأمة من الانهيار والنصوص الشرعية الكثيرة صريحة في ذلك.³

ويرى الإبراهيمي أن من أخطر الآفات الاجتماعية التي يعاني منها المجتمع الجزائري تأخر الشباب في الزواج ، والتي اعتبرها ظاهرة اجتماعية مرضية يجب أن تأخذ بعين الاعتبار بسبب ما يترتب عنها من آثار سلبية حيث يقول: "أعضل هذه المشاكل وأعماقها أثرا في حياة الأمة وأبعدها تأثيرا في تكوينها مشكلة الزواج بالنسبة إلى

¹ - الشيخ المولود الحافظي: "العوائد المفقوتة والأحكام الشرعية" الشهاب، ج5، مج6، جوان 1930م، ص326.

² - سورة النحل: الآية 72

³ - كاتب مجهول: "حفلة زواج فاخرة" البصائر، العدد201، 15 سبتمبر 1952م، ص172

الشبان، فالواقع المشهود أن الكثير من شبابنا يعرضون عن الزواج إلى أن يبلغ الواحد منهم سن الثلاثين فما فوق... فيضيع على الجنسين ربيع الحياة ونسماته".⁴

فالإعراض عن الزواج سبب في انتشار العنوسة بين الفتيات، وهو ما يؤدي إلى الانحلال الأخلاقي و الفساد وتفشي الآفات الاجتماعية في أوساط المجتمع، لذلك كان لزاما على المصلحين التنبيه على هذه المسألة، وتوجيه شبابها اللذين هم في طور الزواج إلى القيام بهذا الواجب.

فبناء بيت الزوجية يمكن الشباب من الانخراط في الحياة الاجتماعية، فلا يبقى على هامش الحياة ولا يكون عرضة للهزات وأشكال الانحرافات، ومن دون تكوين أسرة يبقى الشباب بلا هدف ولا شعور بالمسؤولية في نفس الوقت.⁵

لذلك وجه الإبراهيمي كلمته إلى الشباب الجزائري حيث يقول: "إنكم لا تخدمون وطنكم بأشرف من أن تتزوجوا، فيصبح لكم عرض تدافعون عنه وزوجات تحامون عنهن وأولاد يوسعون الآمال... هنالك تندبون على المسؤوليات وتشعرون بها... وبذلك تزداد القومية في نفوسكم".⁶

فالإسلام حض على الزواج وشرع له من الأحكام ما هو أقرب إلى التيسير والفضيلة، كل ذلك ليحفظ على الشاب والشابة دينهما وعرضهما ولا يجاوزان حدود الله تعالى والأمة الرشيدة هي التي تحرص شبانها من الآفات الاجتماعية المختلفة لأن ما بعد الشباب سيكون زيج أو استقامة.⁷

وقد صنف الإبراهيمي الشباب الجزائري الأعزب إلى ثلاثة أصناف، فهناك من الشباب من يطاولون بالزواج وهم ينوونه، وهناك من يستغلون ثقافتهم ويعيشون بها فيبالغون كلما ذكر لهم الزواج بحجة الاحتياط للمستقبل، ومنهم من يعتذر للعزوبة بأنه لا يليق به أن يتزوج من الجاهلات الأميات فيصل بهم الحد إلى الزواج بالأجنبيات، هذا بالنسبة للمثقفين أما غير المثقفين فهم يعتذرون عن الزواج بأعذار أخرى منها المقبول ومنها المردود كمن يقول كيف أتزوج مع هذه الشروط المرهقة.⁸

وهو في كل هذا يلحق اللوم على المجتمع الفاسد الذي نبذ هداية الدين وإرشاد العقل، وحكم العوائد

⁴ - محمد البشير الإبراهيمي: "الشبان والزواج" البصائر، العدد 6، 12 سبتمبر 1947م، ص 45

⁵ - عبد المجيد بن عدة: الخطاب النهضوي في الجزائر 1925-1954م، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2004-2005م، ص 305

⁶ - محمد زرمان: معالم الفكر السياسي والاجتماعي عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، د ط، جامعة باتنة، 1998م، ص 180

⁷ - محمد البشير الإبراهيمي: "الشبان والزواج" المصدر السابق، ص 45

⁸ - محمد البشير الإبراهيمي: آثار البشير الإبراهيمي، ج 5، المصدر السابق، ص 294

وتناول هذه المسألة الخطيرة بالنظر القصير، فنجده يدعوا الآباء إلى تيسير الأمور والاحتكام لما نصت عليه الشريعة الإسلامية ومقاصد الإسلام الرامية إلى بناء الأسر على أسس سليمة.⁹

كما دعا محمد الطاهر الورثيلاني من جهته إلى معالجة ظاهرة العزوبة في أوساط الشباب المسلم، حيث

نشرت جريدة البصائر مقالا له بعنوان "العزوبة" اعتبر فيه هذه الأخيرة من أعظم الأسباب التي بها فقدت هذه الأمة أخلاقها وكثير من الشبان الأذكياء الذين شعروا بدائها فأسرعوا لمعالجة أنفسهم منها، إذ لا إنسانية للمرء تميزه بين سائر الخلق إذا كان مفقود الأخلاق؛ ولا أخلاق للمرء إذا كان عازبا.¹⁰

وكتب عمر بن البسكري مقالا على الشهاب تحدث فيه عن الزواج وحكمه في الإسلام، كما بين الحكمة من الزواج من تناسل وأنس وسكون وتعاون، وحث فيه على الزواج وحذر من العزوبة فقال: "فليتيق الله شبابنا الذين يؤثرون العزوبة على الزواج -وهي شر لا يطاق- فرارا من عبء التكسب والإنفاق، وليبادروا بامتثال أمر محمد ﷺ؛"¹¹ مستدلا في قوله بأحاديث وآيات كقوله تعالى: "فانكحوا ما طاب لكم من النساء".¹²

وقد جاء في مقال الشبان المسلمون والزواج على مجلة الشهاب أن من بين مشاكل الزواج ثلاث علل لا يصلح الزواج في الأوساط الإسلامية إلا بزوالها، أولها كون الفتى لا يبصر الفتاة التي يريد الزواج بها عكس ما هو عند الإفرنج حيث الزواج مبني على المعرفة، والعللة الثانية متعلقة بتربية الفتيات المسلمات فممن من لا يعرفن شروط الحياة الزوجية ولا واجبات المرأة، أما الآفة الثالثة فهي المغالاة في المهور.¹³

وقد بين بن باديس حلول تلك الأمراض في العمل بنص الشريعة فيما يخص مسألة النظر، أما مسألة تربية البنات والخط من مصاريف الزواج فالحل عند ذوي العقول الراجحة؛ الذين يميزون بين ماهو في العادات رث سخيف وما هو حسن شريف.¹⁴

كما أن من مشاكل الزواج حرمان الفتاة الجزائرية من اختيار الزوج المناسب حيث كانت خاضعة لسلطة الأبوين، وهو ما وقع مع البنت التي سرد قصتها أحمد بن عاشور على جريدة البصائر والتي كان الأب يحرص على

⁹ - محمد البشير الإبراهيمي: المصدر نفسه، ص 294

¹⁰ - محمد الطاهر الورثيلاني: "العزوبة" البصائر، العدد 116، 3 ماي 1938 م، ص 220

¹¹ - عمر بن البسكري: "الإسلام دين الزواج" الشهاب، مج 14، ج 3، جوان 1938 م، ص 115

¹² - سورة النساء: الآية 3

¹³ - عبد الحميد ابن باديس: "الشبان المسلمون والزواج" الشهاب، ج 1، مج 12، أفريل 1936 م، ص 12

¹⁴ - عبد الحميد ابن باديس: "الشبان المسلمون والزواج" المصدر نفسه، ص 20

تزوجها من الموسرين وتشتري الأم أن تكون حمايتها طيبة، أما البنت فلا رأي لها والتي زوجها الأب دون علمها ودون استشارتها.¹⁵

وقد حذر بن باديس من تلك الأمراض التي ذكرها في مقاله السابق الذكر فقال: "حذار! حذار! إن العائلة الإسلامية لفي خطر، وما العائلة إلا أحد أجزاء المبني عليها مجتمعنا فيصالح بصلاحها ويفسد بفسادها. فبادروا بمعالجة هذه الأمراض اللاصقة بنا، واسعوا جهدكم في مداواتها قبل أن يفوت إبان السعي والمعالجة".¹⁶

ومن جهة أخرى نشرت البصائر مقالا بعنوان "نادي المغرورين" للحسن الرامي دعا فيه إلى اختيار الزوجة الصالحة حيث يقول: "مغرورون هم الذين يريدون بناء بيوتهم فلا يجعلون لها أساسا أو يجعلونه، ولكنهم لا يختارون له المادة الصالحة الجيدة فسرعان ما يتقوض البناء وينهدم." وقد صنف هؤلاء المغرورين إلى ثلاثة أصناف: صنف من المتزوجين بنساء ساقطات سيئات الخلق فلا تستقيم لهن عشرة ولا يتمتعون بلذة الزواج، وصنف من المتزوجين بنساء جميلات خلقا قبيحات خلقا؛ فاقدرات لكل تدابير المنزل وشؤونه، وصنف ثالث ممن يطمح إلى الزواج بالنساء الغنيات فتستعبده كيف شاءت، وقد حذر الصنف الأخير في هذه المسألة الحساسة، ذلك أن الزوجة الثرية لا تنظر إلى زوجها إلا بعين الإهانة والاحتقار.¹⁷

وهذا ما دعا إليه أحمد سحنون في مقاله "إصلاح البيت"، حيث ذهب فيه إلى أن أول حجر في بناء البيت هو الزوجة الصالحة، فصالح البيت أو فساده من صلاح المرأة وفسادها لذلك لا بد أن ننظر للمرأة من جانبها الأهم من خلق ودين، وقد نهى الرسول ﷺ إلى ذلك¹⁸ فقال: "تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك".

كذلك فقد اهتمت جمعية العلماء أيضا ببيان واجبات وحقوق كل من الزوج والزوجة في إطار الرابطة الزوجية بينهما، حيث نشرت جريدة البصائر مقالا للفتاة العدوية، تطرقت فيه إلى الزوجة الصالحة وما يجب أن تكون عليه، حيث تقول: "الزوجة الصالحة هي التي تمتاز بأفكارها الطاهرة الشريفة وبأخلاقيها الطيبة وبصبرها الجميل والحافضة لشرفها وشرف زوجها... فتلك هي التي ترفع شأن الإنسانية"¹⁹ فيجب عليها أن تعلم أن مسرتها ومسرة زوجها تتوقفان على محبتها الحقيقية وخدمتها الأمينة بجميع حاجاته، وعليها أن تدرس طباع

¹⁵ - أحمد بن عاشور: "عانس تشكو" البصائر، العدد 129، 28 أوت 1950م، ص 321

¹⁶ - عبد الحميد ابن باديس: "الشبان المسلمون والزواج" المصدر السابق، ص 19

¹⁷ - الحسن الرامي: "نادي المغرورين" البصائر، العدد 17، 1 ماي 1936، ص 140

¹⁸ - أحمد سحنون: "إصلاح البيت" البصائر، العدد 223، 27 مارس 1953م، ص 342

¹⁹ - الفتاة العدوية: "آية من الكتاب" البصائر، العدد 18، 8 ماي 1936، ص 147

وأخلاق زوجها. ذلك أن معظم التعاسة وتكدر العيش ينشأ عن جهل اللائي لا يعرفن مقام أزواجهن ولا يقدرن قدرهن.²⁰

كما كتب الحسن الرامي مقالا حول ما يجب على الرجال اتجاه زوجاتهم من المعاشرة بالمعروف والإحسان إلى الزوجة حرصا على اكتساب عطفهن وطاعتهم وصونا لعرضهن، وكذا إصلاح معوج المرأة وتهذيب أخلاقها لديموم الرابطة الزوجية بينهما حيث يقول: "إن الله خلق الإنسان وجعل له من نفسه زوجا... وإذا ما سكن الزوج إلى زوجته تمكنت بينهما عرى المودة واشتدت أسباب المحبة وربطتهما عاطفة الرحمة"،²¹ وهي أمور نص عليها الدين الإسلامي وحث عليها كما ورد في قوله تعالى: "وعاشروهن بالمعروف".²²

ومن ناحية أخرى ذهب محمد العابد الجيلالي في قصته "السعادة البتراء" على مجلة الشهاب إلى أن الزواج سيكون ناجحا لأنه مبني على أساس الحب والتعارف، خلافا للمألوف عندنا من تلفيق الزوجين من روجين قد تكون العلاقة بينهما ضعيفة وقد تكون منعدمة بالكلية، فينشأ عن ذلك شقاء الأسرة وفساد الأخلاق وتوتر العلاقات في النهاية.²³

وقد رد عليه بن باديس في مقال بعنوان: "الزواج أيبني على الحب والتعارف أم على المحبة والمعرفة" ذهب فيه صاحبه إلى أن السعادة الزوجية أساسها الزواج المبني على الرؤية والمعرفة بالدين والخلق ورضى كل واحد منهما بصاحبه، وهذا ما نص عليه الشرع لا على التعارف المطلق والحب الشهواني الذي يثيره الاختلاط ويحرمه الشرع حيث يقول: "فالزواج الإسلامي مبني على المعرفة البدنية بالرؤية والمعرفة النفسية بالبحث عن الدين والخلق وعلى المحبة التي تحصل بذلك ويدل عليها رضى كل واحد منهما"²⁴ وهذا هو سبيل التآلف والتعارف والعمل لخير الأسرة والأمة والبشرية.

هذا ونشرت أيضا الشهاب مقطعا من مقال الكاتبة سوزان نورمان نشر على البلاغ تحت عنوان "الزواج وعاطفة الحب" ذهبت فيه إلى أن الزواج الذي هو شركة بين رجل وامرأة شركة أساسها العقل والمصلحة والتفاهم المتبادل، لا يمكن أن يقوم بأي حال من الأحوال على عاطفة الحب كما يفهمها الشعراء وأهل الخيال،

²⁰ - الفتاة العدوية: "آية من الكتاب" المصدر السابق، ص 147

²¹ - الحسن الرامي: "آية من الكتاب يجب على الرجال مراعاتها في السكون إلى أزواجهم" البصائر، العدد 14، 10 أفريل 1936، ص 114

²² - سورة النساء: الآية 19

²³ - محمد العابد الجيلالي: "السعادة البتراء" الشهاب، ج 2، مج 11، ماي 1935 م، ص 99

²⁴ - عبد الحميد ابن باديس: "الزواج أيبني على الحب والتعارف أم على المحبة والمعرفة" الشهاب، ج 3، مج 11، جوان 1935 م، ص 178

وذلك باعتبار أن عاطفة الحب من المحال أن تعيش في جو الحياة البيتية حيث المطالب والرغبات المادية العملية هي السائدة وحيث واجبات الحياة اليومية تهزأ بنزعات القلب ونزوات الأعصاب.²⁵

ثانياً: قضية الصداق والطلاق.

1- قضية الصداق.

يعتبر الصداق نحلة شرعية مشروطة في عقدة النكاح يعجلها الزوج للزوجة أو يعمر بها ذمته إلى أجل²⁶، قال الله تعالى: "وأتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئاً مريئاً."²⁷ والذي كان من بين القضايا المرتبطة بالزواج التي تطرقت إليها جمعية العلماء في إطار الإصلاح الاجتماعي، وذلك بسبب ما ينجم عن المغالاة في المهور من فساد وفتنة وانحراف في الأوساط الاجتماعية وما تجره هذه الحالة على الأمة من وخامة العقابة وسوء المصير.

وقد عالجت جمعية العلماء هذه المسألة في صحفها، حيث نشرت جريدة البصائر مقالا للبشير الإبراهيمي بعنوان "الصداق وهل له حد" قال فيه: "وقد كانت هذه القضية- وما زالت - أهم ما تضمنه منهاجنا في الإصلاح الاجتماعي فعالجناها بالترغيب والترهيب... تناولناها في الخطب الجمعية، وفي دروس التفسير والحديث، وفي المحاضرات العامة وفي المقالات المكتوبة، وحملنا الحملات الصادقة على العوائد التي لابستها فأفسدتها حتى صيرت الزواج الذي هو ركن الحياة أعسر شيء في الحياة".²⁸

ومما جاء في المقال أنه كانت هناك محاولات لإصلاح هذه القضية حيث حدد المهر بمبلغ يستوي فيه الغني والفقير، إلا أن ذلك غير كاف لسببين حيث يقول الإبراهيمي: "مهما هبطوا بالمبلغ فهناك من الفقراء من لا تصل قدرته إليه، ثم إن هذا الإصلاح لا يتم حتى يسبقه إصلاح في الأخلاق و التربية وتقوية الوازع الديني".²⁹

وقد خطى الإبراهيمي خطوة هامة في ميدان التطبيق العملي لهذه الحقائق الشرعية: حيث أشارت الكاتبة زهور ونيسي التي تخرجت من مدارس جمعية العلماء أن الإبراهيمي قد أشرف على زواج معظم الفتيات المتعلّمات بمدرسة التربية والتعليم بقسنطينة، ومدن أخرى غيرها على أساس مهور رمزية تمثلت في كثير من

²⁵ - سوزان نورمان: "الزواج وعاطفة الحب" الشهاب، ج4، مج11، جويلية 1935، ص236

²⁶ - محمد البشير الإبراهيمي: "الصداق وهل له حد؟" البصائر، العدد 123، 12 جوان 1950م، ص271

²⁷ - سورة النساء: الآية 4

²⁸ - محمد البشير الإبراهيمي: "الصداق وهل له حد؟" البصائر، المصدر السابق، ص271

²⁹ - محمد البشير الإبراهيمي: المصدر نفسه، ص271

الحالات في كتب شعر وأدب وتربية، ومصاحف قرآنية وهدايا رمزية قدر المستطاع، وقد استمر العمل بهذا القرار حتى أيام الكفاح المسلح، حيث بقي الصداق رمزيا عند زواج المجاهدين والمجاهدات.³⁰

كما نشرت مجلة الشهاب مقالا لعبد الحميد بن باديس، بين فيه العلل والأمراض المتعرضة لرغبة الفتيان في الزواج، والتي حصرها في ثلاث علل من بينها آفة المغالاة في المهور والإسراف في النفقات التابعة للزواج حيث يقول: "أصبح أناس يتفاخرون بما أنفقوه في المهور وشري المصوغ والملابس وإعداد المأدبات الحافلة وإعطاء الهدايا. ولقد ثبت لنا إثباتا أن الزيجات التي من أجلها ينفق ما يتجاوز المائة ألف فرنكات هي غير قليلة في هذا القطر الجزائري البائس أهله"³¹ والعجب في هذه الأموال أنها لا يراعى في إنفاقها لمصلحة الزواج ولا إلى انتفاع الزوجين، بل إنما تفنى في أمور ليست من فائدة الزواج في شيء.

هذا وذكر محمد الطاهر الورثيلاني في مقاله "كيف السبيل إلى الزواج" أن النساء تباع في أسواق الأسر؟ تباع كالبقير يساومها هذا بماله القليل، ويتزوجها ذاك بماله الكثير، وهي لا تعلم بشيء من ذلك حتى إذا آن الزفاف أمرت بالاستعداد له؛ ويروي أنه أراد أن يتزوج فشرط عليه: الصداق ثلاثة آلاف فرنك، ومائة فرنك هدية، ومائة فرنك للحنة وأخرى للحمام، وكبش وقنطار سميد وأربعة أرطل من السمن والأهم من ذلك أن لا يرحل إلى عمالة قسنطينة؛ فرفض وأعرض عن ذلك.³²

كما يدعوا الإبراهيمي الآباء إلى تيسير الأمور في هذه المسألة والاحتكام لما نصت عليه الشريعة الإسلامية دون مراعاة الجانب المادي، حيث يقول: "فعلى المسلمين أن يذللوا هذه العقبات الواقعة في طريق زواج بناتهم وأبنائهم، وأن يقتلوا هذه العوائد الفاسدة المفسدة، وأن ييسروا ولا يعسروا، وأن يعتبروا في الزواج حسن الأخلاق لا وفرة في الصداق، وفي الزوجة الدين المتين لا الجهاز الثمين".³³

والرسول ﷺ زوج مسلمة مؤمنة على أن يعلمها زوجها سورا من القرآن الكريم؛ واكتفى بتزويج أخرى بخاتم من حديد، لذلك يقول: "أيها الآباء يسروا ولا تعسروا وقدرُوا لهذه الحالة عواقيها وارجعوا إلى سماحة الدين ويسره وبساطة الفطرة ولينها، إن لبناتكم مزاحمت في السوق على أبنائكم وإن معهن من الإغراء والفتون ما

³⁰ - محمد زرمان: المرجع السابق، ص 188 189

³¹ - عبد الحميد ابن باديس: "الشبان المسلمون والزواج" المصدر السابق، ص 18 19

³² - محمد الطاهر الورثيلاني: "كيف السبيل إلى الزواج" البصائر، العدد 167، 26 ماي 1936م، ص 218

³³ - محمد زرمان: المرجع السابق، ص 192

يضمن لمن الغلبة في الميدان، فحذار أن يغلب ضعفهن قوتكم... إنكم لا تغالبون الطبيعة إلا غلبتكم، ولا تشادون سنن الله إلا قهرتكم، وإن الدواء في أيديكم فيسروا ولا تعسروا".³⁴

فقد أثارت قضية المغالاة في المهور العلماء المصلحين فاعتبروها العائق الكبير أمام زواج الشباب المسلم، وحذروا من مخاطر التماذي في رفع المهور والتفنن في اختلاق الشروط التعجيزية، التي تؤدي لا محالة إلى بروز ظاهرة العنوسة والعزوبة في أوساط الشباب، حتى أن الشيخ أبو اليقظان اعتبر الغلو في رفع المهور بأنه صار بمثابة تجارة محذرا من عواقبها الوخيمة.³⁵

2- قضية الطلاق.

إلى جانب مشكلة الصداق هناك مشكلة أخرى عالجها مصلحو جمعية العلماء، وهي قضية الطلاق، حيث تطرق إليها إبراهيمي بعدما لاحظ أن المجتمع الجزائري يشهد انتشارا لافتا لهذه الظاهرة التي تفتشت في الكثير من البيوت الجزائرية؛ بسبب الجهل بالدين والجهل بالأحكام المنطوية تحت أحكامه.

وأرجع إبراهيمي هذه الآفة إلى جفاف الفقه عند الفقهاء لأخذهم إياه من كتب تعلم الأحكام ولا تبين الحكم، لذلك كان الأولى بهؤلاء أن يأخذوا الفقه من القرآن الكريم ومن السنة النبوية القولية والفعلية ومن عمل السلف الصالح، يقول إبراهيمي: "هذا الجمود في الفقه والفقهاء وذلك الخلاف الواصل بين طرفي الإباحة والحظر في المسألة الواحدة هما اللذان سهلا على المسلمين تعدي حدود الله في الطلاق وأفضيا إلى هذه الفوضى الفاشية في البيوت".³⁶

وما شرع الطلاق عند إبراهيمي إلا لرفع الحرج الناتج عن عدم ائتلاف القليين، واتحاد الطبعين وتعارف الروحين، فضاق كل من الزوجين بالآخر ضيقا معقولا بأسبابه ودواعيه، ولم ينفعه ويقلله بعد ذلك تدخل العقل والفترة والحكمين من عقال الناس، فغاية الطلاق في الحقيقة الرحمة بمن تضرر تضررا حقيقيا من الزواج، فلا ينبغي أن يتجاهل مقصد الشرع من الطلاق كي لا يحصل الفساد العريض في الأرض منة جراء ذلك.³⁷

³⁴ - محمد البشير إبراهيمي: "الصداق وهل له حد؟" المصدر السابق، ص 271

³⁵ - عبد المجيد بن عدة: المرجع السابق، ص 305

³⁶ - محمد البشير إبراهيمي: آثار البشير إبراهيمي، ج 5، المصدر السابق ص 298

³⁷ - بوبكر صديقي: البعد المقاصدي في فتاوى أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، قسم العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010 2011م، ص 134

وقد تحدث محمد رشيد رضا عن هذه القضية، ومما قاله في هذا المقام أن الطلاق لو جعل حقا مطلقا للنساء كالرجال لفست البيوت، وانقطع سلك نظام العائلات بالإفراط فيه، وهذا ما تشهده الأمم الغربية التي تنص على أن للمرأة أن تشتترط في عقد النكاح أن يكون أمرها بيدها، وهذا الشرط يعطيها حق تطليق نفسها.³⁸

فالطلاق آفة اجتماعية يجب أن تحارب كسائر الآفات التي تهدم كيان المجتمعات وتقوض أركان الأسرة، ومن أسباب شيوع هذه الظاهرة حسب باعيز بن عمر ضعف الوازع الديني بين الزوجين، لذا لابد من تقوية الوازع في نفوس الشباب وتنشئته على مكارم الأخلاق الإسلامية، كما أن من أسبابه ارتفاع مستوى المعيشة وتكثر حاجات الأسرة مما يؤدي إلى النزاع بين الزوجين الذي ينتهي بالطلاق، إضافة إلى أن لسلوك الزوجين أيضا دور كبير في هناء البيت واستقرار الحياة الزوجية.³⁹

هذا وكتب باعيز مقالا آخر تحدث فيه عن مشاكل الأسرة الجديدة، والتي في مقدمتها المشكلة الاقتصادية التي نجم عنها أن كثرت حوادث الطلاق بسبب طغيان الجانب المادي على جوانب الأسرة الأخلاقية والاجتماعية والثقافية الذي آلت إليه بعض الأسر بدعوى مسامرة مدنية العصر حيث يقول: "إن الظاهرة المحرجة الناشئة عن ارتفاع الأثمان وغلاء الأسعار لهي كثرة حوادث الطلاق".⁴⁰

كما أن مغادرة البيت من طرف الزوج لأسباب اجتماعية أو اقتصادية يعد من مشاكل الأسرة التي لا تختلف آثارها عما يتركه الفرار أو الطلاق، لذلك كان لزاما طبع الجيل الجديد بطابع الإسلام، ورفع مستوى الأسرة اجتماعيا واقتصاديا لتفادي هذه الظاهرة.⁴¹

ومن أسباب الطلاق صغر سن الفتاة، وتدخل أولياء الزوجين في الحياة الزوجية لأبنائهم، حيث سردت لنا الأنسة مليكة ابن عامر قصة رجل جاهل هدم مستقبل ابنته وغمرها على الأيمة وهي لا تزال صغيرة، وبسبب تراجع حالة الزوج المادية وظروفه الاجتماعية أجبره أبو الزوجة على الطلاق.⁴²

كما أن من أسبابه أيضا إجبار الفتاة على الزواج دون علمها ودون إرادتها، وهذا ما تطرق إليه عبد المجيد الشافعي على جريدة البصائر، حيث روى قصة إحدى الأخوات التي منعت عن مزاوله الدراسة، وتم تزويجها من

³⁸ - محمد رشيد رضا: "مناظرة في مساواة المرأة للرجل في الحقوق والواجبات" الشهاب، ج7، مج6، أوت1930م، ص 475

³⁹ - باعيز بن عمر: "هل الطلاق آفة اجتماعية" البصائر، العدد302، 21 جانفي1955م، ص 255

⁴⁰ - باعيز بن عمر: "من مشاكل الأسرة الجديدة" البصائر، العدد 293، 19 نوفمبر1954م، ص 183

⁴¹ - كاتب مجهول: "مغادرة بيت الزوجية" البصائر، العدد336، 7 أكتوبر1955م، ص 139

⁴² - مليكة ابن عامر: "نداء للفتيات من فتاة" البصائر، العدد349، 13 جانفي1956م، ص 237

رجل ثري رغم أنها ليست راضية فانتهى ذلك الزواج بالطلاق⁴³؛ وقد أشار إلى هذه النقطة البشير الإبراهيمي حيث يقول: " فالرجل الذي يزوج ابنته، ولا يراعي في زوج ابنته إلا جانب المال، رجل لاعقل له ولا ضمير فقد يفلس ذلك الزوج... ويكون عاقبة أمرهما الطلاق، وتعيش ابنته في نكد وهم".⁴⁴

ومن جهته تحدث الشيخ محمد الأكلح في إحدى الحفلات عن أهمية الزواج، وكيف يجب الأخذ بيد البنت لتكون أما صالحة؛⁴⁵ والأمر نفسه تطرق إليه أحمد بن ذياب حيث كتب مقالا تحدث فيه عن مسألة النظر إلى الخطيبة، فقال: "كان علينا أن نصغي لما أوصى به الرسول ﷺ من ندب النظر إلى الخطيبة، ولا نستعين باستحباب مقابلتها وتكييف الجو الذي يقع فيه اللقاء، حتى تستشف الدواعي المرغبة وتستبان المحاسن المحببة، وتتيقن الأغراض المقصودة..." فوجب علينا أن نؤمن أن البنت التي نكلأها اليوم ستغدو الزوج الوفية، والأم الحفية والدار العامرة، وإنها ليست نصف الأمة فقط بل النصف الآخر من صنع يديها".⁴⁶

وقد استدل على هذا الأمر بما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية، كقوله تعالى: "ولا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلك أذكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون".⁴⁷

أما زهور ونيسي فكتبت مقالا على جريدة البصائر بعنوان "صوت المرأة"، ذهبت فيه إلى أن مسألة الزواج مسألة شرعية، لا يستطيع أي شخص أن يجعل لها قواعد وعادات من عنده والدين نفسه أمر باستشارة البنت، فهناك من الآباء من يزوجون بناتهم بدون أي مشورة ويكتفون برأيهم، وفي الأخير تكون الضحية هي تلك الفتاة، ولكن هذا ليس معناه أن نترك لها المجال لتفتش وحدها عن الزوج المطلوب.⁴⁸

كما أن من أسباب الطلاق المشاكل التي تقع بين الحماة والزوجة، حيث تجبر الحماة ابنتها على طلاقها وهذا ما أشار إليه باعزيز بن عمر في قصته "عانس تشكو"،⁴⁹ وأشار إلى هذه النقطة أحمد بن ذياب في إحدى مقالاته حيث تطرق إلى بعض الأسباب المؤدية إلى الطلاق، والتي من بينها إجبار الأبناء على الزواج والتدخل في حياتهم الزوجية "وهذا شاب لا يزال لدن العود...وقد أجبره أبوه مستجيبا لأمه في تزويجه بابنة عمه، فما كادت تستقر

⁴³ - عبد المجيد الشافعي: "إحدى خمس أخوات" البصائر، العدد 361، 6 أفريل 1956م، ص 333

⁴⁴ - محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، المصدر السابق، ص 326

⁴⁵ - محمد بن مالك: "صفحة القراء" البصائر، العدد 142، 12 فيفري 1951م، ص 56

⁴⁶ - أحمد بن ذياب: "الأسرة والشريعة" البصائر، العدد 79، 9 ماي 1949م، ص 267

⁴⁷ - سورة البقرة: الآية 232

⁴⁸ - زهور ونيسي: "صوت المرأة" البصائر، العدد 359، 23 مارس 1956م، ص 315

⁴⁹ - أحمد بن عاشور: "عانس تشكو" المصدر السابق، ص 321

بمنزلها حتى أخذت الأم تكيد وتوسوس في صدر الابن طورا ولأب أخرى، لتفرق بين الفتى وزوجه وتعود المسكينة إلى بيت أبيها دامعة العين".⁵⁰

وقد أدى الجهل إلى استهانة الكثير من الرجال بعهد الزوجية وميثاقه فيتلاعبون بكلمة الطلاق لأتفه الأسباب، فيختلف رجل مع آخر في شأن جليل أو حقير فيحلف أحدهما أو كلاهما بالطلاق حانثا فتكون النتيجة خراب بيت وتمزيق أسرة وتشريد بنين... وكثيرا ما تكون أمانة في بيتها سعيدة بزوجيتها، فتفاجأ بالطلاق من زوج أحرق مأفون لخلاف شجر بينه وبين جار أو بائع أو مشتر على أتفه الأسباب.⁵¹

لذلك حذر الإبراهيمي من هذه المسألة التي أفضت إلى الفوضى والاضطراب، والتي تكون نتائجها وخيمة على الأبناء والآباء وعلى الأمة جمعاء، يقول الإبراهيمي: "أيها المسلمون إنه لا أشقى من ابن المطلقة، وإن أباه يشقيه أولا ويشقى به أخيرا، فإذا ربي في حضن أمه المطلقة شقي ببعده عن أبيه وشقي أبوه بما تغرسه أمه في نفسه من بغض له وحقد عليه، إن الأمة لا تنعم بأطفالها صغارا ولا تنتفع بهم كبارا إلا إذا نشأوا

متقربين في أحضان الآباء والأمهات متلقين لدروس العطف والحنان من قلبين متعاطفين، لا من قلب واحد".⁵²

ثالثا: قضية الزواج المختلط وتعدد الزوجات.

1- الزواج المختلط.

لقد حاربت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ظاهرة زواج الجزائريين بالأوروبيات، وكانت تنادي بأن كل جزائري يتزوج بامرأة أوروبية فهو بذلك قد أدخل الاستعمار إلى بيته؛ وقد قامت جرائد جمعية العلماء بحملات ضاربة ضد الزواج بالأوروبيات وبيان مضارها وأخطارها على الشخصية الجزائرية والأسرة الجزائرية والأطفال الجزائريين.⁵³

فعلى الرغم من أن الإسلام يبيح الزواج بالكتابية، قال الله تعالى: "اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم"⁵⁴ إلا أن بن باديس أفتى بحرمة زواج المسلم الجزائري بالفرنسية، وعلل ذلك بكون النتيجة التي يؤدي إليها هذا الزواج هي خروج الأبناء عن حظيرة الإسلام.⁵⁵

⁵⁰ - أحمد بن ذياب: "أدواء الأسرة" البصائر، العدد 68، 21 فيفري 1949م، ص 183

⁵¹ - محمد البشير الإبراهيمي: "من مشاكلنا الاجتماعية - الطلاق" البصائر، العدد 7، 19 سبتمبر 1947م، ص 55

⁵² - محمد البشير الإبراهيمي: "من مشاكلنا الاجتماعية - الطلاق" المصدر السابق، ص 55

⁵³ - تركي راجع عمارة: جمعية العلماء المسلمين التاريخية 1931-1956 م ورؤساؤها الثلاثة، المرجع السابق، ص 3534

⁵⁴ - سورة المائدة: الآية 5

⁵⁵ - عبد القادر فضيل ومحمد الصالح رمضان: المرجع السابق، ص 171

وربما كانت فتوى ابن باديس من باب الابتعاد عن الشبهة، ودرء المفسدة قبل جلب المصلحة بسبب ما ينجر عن ذلك الزواج من أخطار على الأسرة الجزائرية، خاصة الأولاد لفساد عقيدة معظم أهل الكتاب. وقد ورد في العدد 95 من جريدة البصائر مقال بعنوان "التجنس والتوبة منه" على لسان ابن باديس ما يلي: "ومن تزوج بامرأة من جنسية غير إسلامية، فقد ورط نسله في الخروج من حظيرة الشريعة الإسلامية، فإن كان راضيا لهم ذلك ومختارا لهم على بقائهم في حظيرة الشريعة الإسلامية فهو مرتد عن الإسلام جان عليهم ظالم لهم؛ وإن كان غير راض لهم بذلك ولا مختارا لهم ذلك على شريعة الإسلام وإنما غلبته شهوته على ذلك الزواج، فهو آثم بجنايته عليهم وظلمه لهم لا يخلصه من إثمه العظيم إلا إنقاذهم مما أوقعهم فيه بهجرته بهم".⁵⁶

فالتزوج بالأجنبيات عن الإسلام اللائي يعتبرن قانون دولهن سيدات لأزواجهن، يقتضي أيضا باندماج الزوج في أمة تلك المرأة ومغادرته للشريعة الإسلامية، كما يقتضي أيضا أن ذريته يصيرون تبعاً لأهمهم متجنسين تجنسا يقطع الصلة بينهم وبين الشريعة الإسلامية، وبذلك يكون هذا الزوج قد جنى على نفسه وعلى ذريته من بعده وعلى أمته الإسلامية؛ ولذلك أصدرت جمعية العلماء هذه الفتوى لبيان حكم التزوج بغير المسلمات.⁵⁷

فأخطر ما يترتب عن الزواج المختلط هو عدم إمكانية تربية الأولاد الآتين من هذا الزواج، وتنشئتهم تنشئة إسلامية تحافظ على مقومات هويتهم الوطنية والدينية، خاصة وأن الآباء أنفسهم مهددون في ذلك الوسط بفقدان هذه المقومات.⁵⁸

وقد تحدث الشيخ إبراهيم عن هذه الظاهرة، وما نجم عنها من سوء العاقبة حيث قال: "وتزوج كثير منهم من أوروبيات عاملات، وولد لهم في أرض مسيحية من زوجات مسيحيات، فكانت النتيجة اللازمة لهذا أن الآباء أضاعوا دينهم بتأثير البيئة فضلا عن الأبناء الذين اجتمعت عليهم البيئة والأمهات والقانون؛ إنهم بلا شك ينشؤون مسيحيين خالصين".⁵⁹

فالإبراهيمي يعلم بمدى خطورة هذه الظاهرة على المجتمع الجزائري وأثرها في تفكك الأسرة، لذلك نجده يحث الشباب على الزواج من بنات جنسه اللاتي يوافقنه ديناً وخلقاً ويعرض عن الزواج بالأوروبيات الغربيات

⁵⁶ - عبد الحميد ابن باديس: "التجنس والتوبة منه" البصائر، العدد 95، 14 جانفي 1938م، ص 46

⁵⁷ - عبد الحميد ابن باديس: المصدر السابق، ص 46

⁵⁸ - سعيد بورنان: المرجع السابق، ص 54

⁵⁹ - محمد البشير الإبراهيمي: آثار البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، ج 4، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م، ص 168

فيقول: "أتمثله شديد الغيرة، حديد الطيرة، يغار لبنت جنسه أن تبور وهو يملك القدرة على إحصائها... ويغار لعينيه أن تسترقهما الوجوه المطراة، والأجسام المعراة، يا شباب الجزائر هكذا كونوا... أو لا تكونوا".⁶⁰

ويرى السيد عبد الجبار السعدي بالمغرب أن مشكلة ثقافة المرأة الجزائرية وجهلها هو السبب الأول في عزوف الطبقة المثقفة عن الزواج من بنات جنسهم، والتزوج بالأجنبيات، وقد رد عليه حمار الحكيم (أحمد رضا حوحو) بأن مشكلة جهلها تحتاج إلى العلاج، وعلاجها لا يكون بتركها والتزوج بغيرها حيث يقول: "فمسألة الزواج بالأجنبيات ليست بحل لمشكلة جهل المرأة... فالمسألة ليست مسألة بضاعة يختار منها الإنسان ما يعجبه ويترك ما لا يرضيه، وإنما هي مسألة أخوات وبنات وقريبات من حقهن أن يتزوجن جاهلات كن أم مثقفات".⁶¹

كما تحدث أحمد رضا حوحو عن هذه القضية في حوار تحت عنوان "حمار الحكيم... والزواج"، حيث نوه فيه بحرص الكثير من المثقفين على الزواج بالأجنبيات، وأن هذا الزواج سبب الانحلال الاجتماعي والخلقي، وفيه خطورة كبيرة على الأخلاق والعادات؛ خاصة وأن المرأة الأجنبية ترى نفسها أرقى منه عنصرا وأسمى حضارة، ترى نفسها ابنة حاكم وهو ابن محكوم، سيدة وهو مسود، ترى في زوجها منه تنازلا منها لطبقته، فهي تمن وتندلل، وما عليه إلا أن يرضى ويتدلل، والأكثر من ذلك هناك القليل فقط ممن لم تفرنجهم زوجاتهم.⁶²

ويذكر الأستاذ محمد الصالح رمضان في مقال "دعوة جمعية العلماء ونهجها الإصلاحي التربوي في عهد رئاسة بن باديس" أن فتوى العلماء قد أحدثت أثرها المطلوب ومقصدها، إذ أثرت على المجتمع الجزائري فنقص الإقبال على الزواج بالأجنبيات، وصار من يرغب في ذلك الزواج يشترط فيمن يريد الزواج بها أن تدخل في الإسلام أولا، وتعلن عن ذلك رسميا ليتزوجها، وبذلك يصبح أبناؤه منها مسلمين جزائريين.⁶³

أما عن أسباب انتشار ظاهرة الزواج المختلط بين المغتربين فكثيرة منها: طول أمد الغربة وسهولة الاتصال والاختلاط بالأوروبيات والأمل في حل المشاكل المادية، وكذا تعقد وسائل الحياة في الجزائر؛⁶⁴ وقد تحدث مبارك جلواح عن حالة المغتربين الجزائريين في فرنسا من ناحية الزواج المختلط فقال: "نحن الآن في هذا الوسط (أي الوسط الفرنسي) ثلاثة نفر: رجل منا غرر بأسرته العربية الضعيفة فألقاها إلى هذا المجتمع القوي يبيدها... والآخر فارق زوجة وأولادا ليأتيهم برزق فأنشأ له أسرة جديدة في هذه البلاد، فهو يقضي ما بقي له من الحياة

⁶⁰ - محمد البشير الإبراهيمي: عيون البصائر، المصدر السابق، ص 592

⁶¹ - حمار الحكيم: "بريد حمار الحكيم" البصائر، العدد 94، 7 نوفمبر 1949م، ص 40

⁶² - أحمد رضا حوحو: "حمار الحكيم... والزواج" البصائر، العدد 70، 7 مارس 1949م، ص 194

⁶³ - سعيد بورنان: المرجع السابق، ص 55

⁶⁴ - سعيد بورنان: المرجع نفسه، ص 55

لأجل سعادتها، والثالث شاب لا خبرة له بالحياة ولا يحسن أن يكافح ما يحيط به من فتن ومغريات فهو لاشك في يوم من الأيام يسقط صريعا تحت أقدام الغواني".⁶⁵

وقد وصف عبد الرحمان اليعلاوي حالة الأطفال المولودين من أب جزائري وأم أوروبية بفرنسا في تقرير قدمه إلى الجمعية عام 1951م، وتم نشره على جريدة البصائر حيث قال: "يوجد اليوم عدد يتراوح بين الخمسة عشر والعشرين ألف طفل في سن الدراسة ولدوا من أب مسلم وأم مسيحية، في الغالب لا يتلقون تعليما قوميا فيشبون على غير أخلاق ومعتقد آبائهم حتى إذا ما كبروا تنكروا لجنسهم واندمجوا في عنصر الأكثرية، فتفقد البلاد هذا الشاب المتعلم الذي هو في حاجة أكيدة إليه لصد عوائل الاستعمار المادية منها والأدبية"، كما يقول بأن هؤلاء أصبحوا مهديدين بانحلال أخلاقي بتربيتهم خارج مبادئ الدين الحنيف.⁶⁶

هذا وأشار أحمد توفيق المدني إلى هذه المسألة التي تفشت في أوساط المهاجرين الجزائريين بفرنسا وما انجر عنها من انحطاطهم صحيا وأخلاقيا ودينيا يقول: "وقد اضطر بعضهم لتزوج فرنسيات، وأنجبوا أبناء فرنسيين.... فلولا المساعي الجبارة التي قامت بها الأحزاب الوطنية الجزائرية في الميدان السياسي، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الميدان الديني والثقافي، لكانت الأمة الجزائرية نكبت -مقابل لقمة خبز- في القوة الحية من أبنائها العاملين بفرنسا".⁶⁷

ومن جهة أخرى فقد حذرت جمعية العلماء من التزوج بالأجنبيات وأوضحت أضراره المختلفة، ومن آثاره طمس الهوية والاندماج في المجتمع الفرنسي، ومن أخطاره كذلك أن الزوجة الأجنبية تسمي أولادها أسماء أجنبية، وللأمين العمودي أبيات في هذا المقام حيث قال:

حتى الطبيب ولا تنس قرينته فهو سليمان وهي بلقيس

له غلام أطال الله مدته تنازع العرب فيه والفرنسيين

لا تعذله إن خان ملته فنصفه صالح ونصفه مورييس⁶⁸

⁶⁵ - أحمد بن عاشور: "الشاعر مبارك جلواح وجمعية التهذيب" البصائر، العدد 65، 31 جانفي 1949م، ص 158
⁶⁶ - عبد الرحمان اليعلاوي: "تقرير عن حالة العمال الجزائريين بباريس" البصائر، العدد 172، 15 أكتوبر 1951م، ص 295
⁶⁷ - أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، د ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د س، ص 137

2- تعدد الزوجات.

إضافة إلى قضية الزواج المختلط، لم تغفل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قضية تعدد الزوجات؛ وذلك ببيان الحكمة من التعدد وموقف الشريعة الإسلامية منه.

ومن الذين كتبوا في مسألة تعدد الزوجات أحمد بوزيد قصيبة، حيث قال بأن تعدد الزوجات مباح وغير واجب، فمحمد ﷺ في تعدد الزوجات يقول لكل أمة خذي من شريعتي المنة ما يناسب محيطك وحالة اجتماعك، فإذا قالت طائفة من البشر أنا لا أعدد، قال لها محمد ﷺ تحسنين صنعا لأن التعدد في شريعتي مباح لا واجب، والتعدد مباح لا سيما إذا كان أحد الزوجين عقيما أو كثر عدد النساء بسبب اجتياح الحروب للرجال أو لأسباب أخرى.⁶⁹

ولقد تناولت الحركة الإصلاحية هذه القضية قبل تأسيس جمعية العلماء، حيث تحدث مصطفى بن الخوجة عن مسألة تعدد الزوجات، وبين ضوابط وشروط التعدد، حيث يقول: "واعلم أن الله تبارك وتعالى لم يأمر الرجال أن يقتربوا حالا بزواج، وإنما سمح وأجاز ذلك عند مسيس الحاجة كما إذا كانت الزوجة عقيمة والزوج راغبا في البنين، أو كانت مريضة أو حائضا أو نفساء أو غائبة وهو يخشى الوقوع في المعصية، ومع هذا فإباحة تعدد الزوجات مشروطة بالعدل والتسوية بينهما؛ ومن المعلوم أن العدل دونه خرق القتاد وهو بمعزل عن الطبع البشري، إلا من وفقهم الباري ﷻ وقليل ما هم".⁷⁰

كما أن أبو يعلى الزواوي قال بتعدد الزوجات، وأنه أمر اجتماعي صالح للدين والدنيا، فهو في الإسلام موجود كوجوده في ديانة أبينا إبراهيم وأولاده الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومما يقضي بتعدد الزوجات أن مدة صلاحية المرأة للنسل أقل بكثير من مدة صلاحية الرجل، وهذا أحد أسرار التعدد لحفظ الدين والنسل والمال واجتناب الزنى.⁷¹

كما أن النساء أكثر عرضة للإصابة بالأمراض من الرجال، كفساد نظام الحيض والنفاس والرحم والعقم والإجهاض، وهي أمراض تجعل المرأة غير صالحة للنسل، ثم إن الوفيات من الرجال أكثر من النساء لأسباب عدة

⁶⁹ - أحمد بوزيد قصيبة: "حول تعدد الزوجات في الإسلام" البصائر، العدد 142، 2 ديسمبر 1938م، ص 20

⁷⁰ - محمد بن مصطفى بن الخوجة: الإكتراث بحقوق الإناث، تر: محمد سايب الشريف، د ط، دار بن حزم، د س، ص 21

⁷¹ - أبو يعلى الزواوي: "سر تعدد الزوجات في الإسلام" الشهاب، ج 5، مج 7، ماي 1931م، ص 339

كالحروب وغيرها؛ كذلك مما يقتضي بتعدد الزوجات أن كثيرا من النساء عواقر ويكثر العقر فيهن بخلاف الرجال، لذلك كان من الضرورة التعدد لحفظ النسل.⁷²

كما كتب الزاوي مقالا آخررد فيه على بعض المستفتين والطاعنين في الإسلام من الإفرنج بشأن تعدد الزوجات، حيث يقول: "وإذا كان مراد المستفتين تقليل النسل أو تقليل الزواج ليشيع الفساد فتلك جناية لا تغتفر"، ومما جاء فيه أن الله تعالى يغفر للعبد ما لا يدخل تحت طاقته من ميل قلبه، وقد كان النبي ﷺ في آخر عهده يميل إلى عائشة أكثر من سائر نسائه، ولكنها لا يخصصها بشيء دونهن، أي بغير رضاهن وإذنهن؛⁷³ ويفهم من هذا أن التعدد يقتضي المساواة بين الزوجات في كامل الحقوق والواجبات من مأكّل ومشرب ومسكن... أما الأمور المعنوية (الميل القلبي) فلا يضر.

أما محمد عبادة الميلي فكتب مقالا استهله بعدم استقامة الحياة إلا مع الزوجة الواحدة مستندا بأدلة منها: أن الحياة الاعتيادية الطبيعية وتحسين شؤون المنزل والإعانة على الزمان من الجانبين نجدها لا تستقيم إلا مع الواحد، ثم أتبعها بأبيات شعرية:⁷⁴

تزوجت اثنتين لفرط جهلي فما يشقى به زوج اثنتين
فقلت أصير بينهما خروفا أنعم بين أكرم نعتين
فصرت كنعجة تضحي وتمسي تداول بين أخبت ذئبتين
رضى هذي يهيج هذي فما أعرى من إحدى السخطين

ثم ساق شيئا من حياة النبي ﷺ مع أم المؤمنين وكونه لم يتزوج عليها، وقد ختم مقاله بقوله: وإذا ذكرنا مضار تعدد الزوجات فليس ذلك إنكارا على الشارع في إباحته -معاذ الله- ولكن ترجيحاً منا لأحد طرفي المباح والطرف الآخر باق حكمه لمن استطاعه،⁷⁵ ويفهم من كلامه أنه لا يميل إلى التعدد رغم عدم إنكاره لذلك.

وقد كتب العربي الحركاتي مقالا رد فيه على ما كتبه محمد عبادة الميلي ذلك أن لكل أمة طبيعة خاصة، ولكل فرد شؤون منزلية خاصة فخير لنا ألا نبت ولا نرجح في أمر كهذا من عقولنا؛ ونكتفي بذلك النبراس الحكيم:⁷⁶ "فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة".⁷⁷

⁷² - أبو يعلى الزاوي: "سر تعدد الزوجات في الإسلام" المصدر السابق، ص 339

⁷³ - أبو يعلى الزاوي: "تعدد الزوجات في الإسلام" البصائر، العدد 137، 28 أكتوبر 1938 م، ص 386

⁷⁴ - محمد عبادة الميلي: "تعدد الزوجات" البصائر، العدد 100، 18 فيفري 1938 م، ص 89

⁷⁵ - محمد عبادة الميلي: المصدر السابق، ص 89

أما بخصوص ذلك الأعرابي الذي يتبرم من التعدد فما هو إلا انفصال وقتي في ظرف مخصوص، وأما سرده لحياة النبي ﷺ فهو لا يدل على استنكار التعدد أو استحسان عدمه، وبالنسبة للمضار فكما توجد في التعدد في بعض الأحيان فإنها توجد مع غيره في بعضها؛⁷⁸ وخير لنا أن نمثل قوله تعالى: "وما آتاكم الرسول فخذوه".⁷⁹

الخاتمة:

من خلال بحثنا هذا يمكن القول أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين اهتمت بالأسرة الجزائرية، والملاحظ أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عالجت العديد من القضايا الأسرية وعملت على تحليل العلل والأمراض التي تعاني منها الأسرة الجزائرية من وجهة نظر دينية، وذلك بدعوتها إلى الالتزام بحدود الشرع وما يدعو إليه الدين الإسلامي في عدة مسائل، كالزواج والطلاق والصدّق وتعدد الزوجات، وكذا تعليم المرأة وقضية الحجاب والسفور...إلخ، ويظهر ذلك من خلال الاستدلال بشواهد دينية من القرآن الكريم والسنة النبوية في العديد من المقالات.

و الحقيقة أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قدمت إسهامات كثيرة للمحافظة على البنية الاجتماعية وتحفيز الشباب على الزواج وهذا ما اتضح لنا في المقالات التي كانت تدونها أقلام العلماء في الشهاب والبصائر وغيرها من صحافة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي ضمت مجموعة من أعلام الفكر في الجزائر متخذة شعارا لها "الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا"، فكانت جمعية دينية غرضها خدمة الدين والمجتمع، حيث سطرت مجموعة من البرامج والأهداف سعت من خلالها إلى إصلاح أوضاع المجتمع الجزائري والحفاظ على هوية الأمة الجزائرية وعقيدتها، وإفساد المشاريع الاستعمارية الرامية إلى التجهيل ومحاربة اللغة العربية والدين الإسلامي.

⁷⁶ - العربي الحركاتي: "حول تعدد الزوجات" البصائر، العدد 108، 15 أبريل 1938م، ص 154

⁷⁷ - سورة النساء: الآية 3

⁷⁸ - العربي الحركاتي: "حول تعدد الزوجات" المصدر السابق، ص 154

⁷⁹ - سورة الحشر: الآية 7

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم:

*سورة البقرة: الآية 232

*سورة النساء: الآية 3

*سورة المائدة: الآية 5

*سورة النحل: الآية 72.

*سورة الحشر: الآية 7

الشهاب:

*الشيخ المولود الحافظي: "العوائد الممقوتة والأحكام الشرعية" الشهاب، ج 5، مج 6، جوان 1930 م، ص 326.

*عمر بن البسكري: "الإسلام دين الزواج" الشهاب، مج 14، ج 3، جوان 1938 م، ص 115

*عبد الحميد ابن باديس: "الشبان المسلمون والزواج" الشهاب، ج 1، مج 12، أفريل 1936 م، ص 12

*أحمد بن عاشور: "عانس تشكو" البصائر، العدد 129، 28 أوت 1950 م، ص 321

*محمد العابد الجيلالي: "السعادة البتراء" الشهاب، ج 2، مج 11، ماي 1935 م، ص 99

*سوزان نورمان: "الزواج وعاطفة الحب" الشهاب، ج 4، مج 11، جويلية 1935، ص 236

*محمد رشيد رضا: "مناظرة في مساواة المرأة للرجل في الحقوق والواجبات" الشهاب، ج 7، مج 6، أوت 1930 م، ص

475

*أبو يعلى الزواوي: "سر تعدد الزوجات في الإسلام" الشهاب، ج 5، مج 7، ماي 1931 م، ص 339

البصائر:

*كاتب مجهول: "حفلة زواج فاخرة" البصائر، العدد 201، 15 سبتمبر 1952 م، ص 172

*محمد البشير الإبراهيمي: "الشبان والزواج" البصائر، العدد 6، 12 سبتمبر 1947 م، ص 45

*محمد الطاهر الورثياني: "العزوبة" البصائر، العدد 116، 3 ماي 1938 م، ص 220

*الحسن الرامي: "نادي المغرورين" البصائر، العدد 17، 1 ماي 1936، ص 140

*الحسن الرامي: "آية من الكتاب يجب على الرجال مراعاتها في السكون إلى أزواجهم" البصائر، العدد 14،

10 أفريل 1936، ص 114

*أحمد سحنون: "إصلاح البيت" البصائر، العدد 223، 27 مارس 1953 م، ص 342

*الفتاة العدوية: "آية من الكتاب" البصائر، العدد 18، 8 ماي 1936، ص 147

*محمد البشير الإبراهيمي: "الصداق وهل له حد؟" البصائر، العدد 123، 12 جوان 1950 م، ص 271

*باعزيز بن عمر: "هل الطلاق آفة اجتماعية" البصائر، العدد 302، 21 جانفي 1955 م، ص 255

*باعزيز بن عمر: "من مشاكل الأسرة الجديدة" البصائر، العدد 293، 19 نوفمبر 1954 م، ص 183

- * كاتب مجهول: "مغادرة بيت الزوجية" البصائر، العدد 336، 7 أكتوبر 1955م، ص 139
- * مليكة ابن عامر: "نداء للفتيات من فتاة" البصائر، العدد 349، 13 جانفي 1956م، ص 237
- * عبد المجيد الشافعي: "إحدى خمس أخوات" البصائر، العدد 361، 6 أبريل 1956م، ص 333
- * محمد بن مالك: "صفحة القراء" البصائر، العدد 142، 12 فيفري 1951م، ص 56
- * أحمد بن ذياب: "الأسرة والشريعة" البصائر، العدد 79، 9 ماي 1949م، ص 267
- * زهور ونيسي: "صوت المرأة" البصائر، العدد 359، 23 مارس 1956م، ص 315
- * أحمد بن ذياب: "أدواء الأسرة" البصائر، العدد 68، 21 فيفري 1949م، ص 183
- * محمد البشير الإبراهيمي: "من مشاكلنا الاجتماعية - الطلاق" البصائر، العدد 7، 19 سبتمبر 1947م، ص 55
- * عبد الحميد ابن باديس: "التجنس والتوبة منه" البصائر، العدد 95، 14 جانفي 1938م، ص 46
- * حمار الحكيم: "بريد حمار الحكيم" البصائر، العدد 94، 7 نوفمبر 1949م، ص 40
- * أحمد رضا حوحو: "حمار الحكيم... والزواج" البصائر، العدد 70، 7 مارس 1949م، ص 194
- * أحمد بوزيد قصبية: "حول تعدد الزوجات في الإسلام" البصائر، العدد 142، 2 ديسمبر 1938م، ص 20
- * أحمد بن عاشور: "الشاعر مبارك جلواح وجمعية التهذيب" البصائر، العدد 65، 31 جانفي 1949م، ص 158
- * عبد الرحمان اليعلاوي: "تقرير عن حالة العمال الجزائريين بباريس" البصائر، العدد 172، 15 أكتوبر 1951م، ص 295
- * العربي الحركاتي: "حول تعدد الزوجات" البصائر، العدد 108، 15 أبريل 1938م، ص 154
- * محمد عبادة الميلي: "تعدد الزوجات" البصائر، العدد 100، 18 فيفري 1938م، ص 89
- الكتب:
- * الإبراهيمي محمد البشير: آثار البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، ج 4، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م،
- * الإبراهيمي محمد البشير: آثار البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم أحمد طالب الإبراهيمي، ج 5، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997م.
- * محمد زرمان: معالم الفكر السياسي والاجتماعي عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، د ط، جامعة باتنة، 1998م،
- * تركي راجح عمامرة: جمعية العلماء المسلمين التاريخية 1931-1956م ورؤساؤها الثلاثة، ط 1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر: 2004.
- * المدني أحمد توفيق: هذه هي الجزائر، د ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د-ت،
- * بن الخوجة محمد بن مصطفى: الإكتراث بحقوق الإناث، تر: محمد سايب الشريف، د ط، دار بن حزم، د-ت
- الرسائل الجامعية:

=====

* عبد المجيد بن عدة: الخطاب النهضوي في الجزائر 1925-1954م، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2004-2005م،

* بوبكر صديقي: البعد المقاصدي في فتاوى أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، قسم العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010-2011م،